من تراب الطريق (٣٧٦) كيف كنا . وإلام صرنا ؟!(*)

قرأت حديث مطولا فى الدستور ١٧ ديسمبر الجارى ، عن الفرق بين إعلام صوت العرب فى عهد عبد الناصر ، وفضائيات ٢٠٠٩ ، للأستاذ أحمد سعيد أول رئيس لإذاعة صوت العرب ، والتى تولاها من بعده الأساتذة الكبار محمد عروق وسعد زغلول نصار ثم أمين بسيونى ومن تلاه فى عقد فريد نهض بهذه الإذاعة التى ظلت لسنوات طويلة معقل العروبة وأملها .. وقد عاصرت شخصيا إذاعة صوت العرب كاتبا ومتحدثا لسنوات طويلة منذ أول الستينيات .. شدنى إليها رسالتها الكبرى ومادتها الرصينة المتميزة التى نهضت على رعايتها كتيبة من أخلص الإذاعيين الذين آمنوا بالقومية العربية ونذروا كتاباتهم وبرامجهم وأدائهم الإذاعى لها .. كتبت فيما قدمت لها : أضواء على الفكر العربى ، من التراث العربى ، أدب وأدباء العرب ، سيوف الله ، الموسوعة العربية ، المجلة الثقافية ، على طريق الهدى والإيمان ، من هدى القرآن ، ذلك الكتاب لا ريب فيه ، من هدى النبوة ، نضال شعب ، حطين : معركة الجهاد الأكبر ، العهد العمرى ، الصمود العربى بمعركة الزلاقة بالأندلس فى بداية الغروب بعهد ملوك الطوائف ، بطولات عربية ،

(*) المال ٢١/ ١٢/ ٢٠٠٩

تراجم وسير عربية ، اقتصاديات عربية ، معركة المصير ، نساء عربيات خالدات ، ومئات البرامج والأحاديث التى طَفَقَت على مدار سنوات ترنو إلى الأمل العربى وتناضل فى سبيله ..

طاف بى شريط الذكريات ، وأنا اقرأ للأستاذ أحمد سعيد مقولة الرئيس جمال عبد الناصر: «صوت العرب ما يتحاسبش على اللى بيقوله ، يتحاسب بس على نتيجة ما يقوله» .. ينقل عن الزعيم مقولاته فى حماية الإعلام التثويرى الهادف ، الثابتة فى مضابط مجلس الأمة (الشعب الآن) والهيئة البرلمانية : «صوت العرب كان فى رمضان بالليل بيذيع حاجات أنا مش موافق عليها .. إنما ده صوت العرب ما اقدرش أقول له اتكلم فى المربع ده .. يموت صوت العرب وتضيع قيمة صوت العرب .. لازم يحس إنه عنده فرصة ينطلق ويعبر عن نفسه» .. ولما نقل إليه على صبرى تشكى البعض من سياسات صوت العرب ، قال له : «يعنى عاوزين إيه ؟! صوت العرب ما يتحاسبش على اللى بيقوله .. يتحاسب على نتيجة اللى بيقوله» .. كان هذا يتفق مع مذكرة إنشاء صوت العرب (١٩٥٣) التى جاء فى أحد بنود صلاحياته «أن يتناول سياسات الحكومات العربية المختلفة بما فيها حكومة الثورة فى مصر ـ لاحظ فى مصر ـ تأمينا لعنصر المصداقية اللازمة له حِرَفيا إعلاميا عند الشعوب العربية» .

كان لإعلام صوت العرب هدف يلتقى مع الأمل العربى والقومية العربية مع طموحات الجماهير والشعوب ، وظل صوت العرب يؤدى هذا الدور القومى الذى هو حكمة وغاية إنشائه .. تذكرت هذا كله

وأنا أراجع الموقف الغريب جدا للسيدة انتصار شلبى الرئيسة الجديدة للإذاعة ، حين أقدمت من أيام ـ بلا مناقشة وفى غياب الرئيسة الحالية لإذاعة صوت العرب التى كانت تؤدى فريضة الحج ـ أقدمت على «إلغاء» برنامج «حديث الذكريات» الذى يقدم بخريطة صوت العرب من عشرات السنين ، ويشارك فيه نخبة نجوم الشبكة ، وينهض به الآن الإذاعى المخضرم أحد رواد صوت العرب الأستاذ الكبير عادل جلال ، جزاءً غريبًا على حديث أداره معى ومع غيرى حول الأزمة المصرية الجزائرية الأخيرة ، وما لابسها من ممارسات خاطئة ، ابتعدت عن روح الرياضة ورسالتها ، وضربت دون أن تدرى مقومات القومية العربية والعلاقات المصرية الجزائرية التى ينبغى أن تكون مصالحها العليا حاضرة فى جميع الأحوال . ما قيل فى الحديث ـ وكنت مشاركا فيه ـ يتفق مع رسالة صوت العرب الذى لا يزال لحنه المميز يصدح فى الافتتاح وفى الختام بصوت حسنى الحديدى : «أمجاد ياعرب أمجاد» .. ويتفق أيضا مع المنظور الصحيح الذى استيقظت وعادت إليه الممارسات فيما بعد ، حين استخلص الحكماء مصالح الوطن من براثن الحماقة والتعصب والغلو والاندفاع الأعمى البعيد عن روح الرياضة وما ينبغى الحفاظ عليه فى العلاقات بين الشعوب والدول العربية .. من أسابيع قبل احتدام هذا الشغب الضرير ، ولأنى لمست مقدماته التى أنذرت بانحراف البوصلة ، كتبت مقالا لجريدة المال (١٥/ ١٠) بعنوان : «إنها مباراة رياضية وليست معركة حربية !» .. قرعت فيه الأجراس ، ونبهت إلى خطل وانفلات

المعالجات التى بدأت تشرئب ، وذكّرت النقاد والمحتقنين بالرياضة ورسالتها ، وكيف أنها جعلت للصداقة بين الناس والشعوب والدول ، وكيف من أجل الروح الرياضية يتصافح الملاكمون والمصارعون قبل كل جولة .. حول هذه المعانى ورعاية المصالح العليا لمصر والجزائر ، ومقتضيات القومية العربية ، وهى غاية صوت العرب وحكمة إنشائه ، دار الحديث مع الأستاذ عادل جلال فى حديث الذكريات ببرنامج سهرة الأحد .

لم يرق هذا الحديث للسيدة / انتصار شلبى الرئيسة الجديدة للإذاعة القادمة إلى المنصب من وراء الأفق ، فأصدرت بلا مناقشة قرارا عفويا بإلغاء برنامج أسبوعى ظل يزين خريطة صوت العرب لعشرات السنين ، يتناوب عليه نجوم هذه الإذاعة ويتعهده الآن بالرعاية والتقديم واحد من ألمع روادها المتميزين .. الإذاعى المخضرم الأستاذ عادل جلال .. شىء ممض يشعرك بالمرارة والإحباط حين تنشب الإدارة أظافرها فى قهر الإبداع أو فى وأد الأفكار والآراء ، فتُعمل فيها «القدوم» و «المنشار» بدلًا من الفهم والتأمل والحوار .. شعرت وأنا أتلقى خبر الفرمان الضرير السكران بنشوة السلطة ـ أن ما صنعناه وبنيناه عبر أجيال ، يتبدد وتذروه رياح الجهالة وغرور السلطة ! .. لو تمهل الفرمان قليلا لأدرك أن ما تعجل القفز لمراضاته ، قد عَدَل عنه أصحاب الأمر ، واستبان لهم حمق ما كان جاريا ، وأن الحكمة قد آبت بالراشدين إلى ذات ما جرى به التناول فى الحديث .. وليظل قائما السؤال الذى استحضره مقال الأستاذ أحمد سعيد : كيف كُنَّا ، وإلام صرنا ؟!!